

الواجهة البحرية للمغرب الأوسط ودورها في السياسة التوسعية بالمغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط

"The Maritime Front of the Maghreb Al-Awsat and Its Role in
the Expansionist Policy of Islamic Morocco During the
medieval Period"

بورملة عريية¹ ، بن معمر محمد²

جامعة ابن خلدون تيارت ، arbia.bouramla@univ-tiaret.dz¹

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة ، benmammar2005@yahoo.fr²

تاريخ الإرسال: 2025/02/09	تاريخ القبول: 2025/06/17	تاريخ النشر: 2025/06/30
---------------------------	--------------------------	-------------------------

الملخص:

يمتد المغرب الأوسط على شريط ساحلي للبحر الأبيض المتوسط ، وقد أكسبه موقعه الجغرافي أهمية جيوسياسية باعتبارها همزة وصل ونقطة ربط وعبور بين الدول. وقد ساعدت الطبيعة الجغرافية لهذا الساحل على إنشاء مراسي وموانئ عديدة للسفن هذه الأخيرة التي أهلت الواجهة البحرية للمغرب الأوسط لأن تساهم بأدوار متباينة في تاريخ الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط ، فبرزت ثغور المغرب الأوسط كنقاط انطلاق للغزوات البحرية وتوسيع حدود الدولة الإسلامية في جزر البحر المتوسط. ومع تعاقب دول المغرب الإسلامي كشف حكام هذه الكيانات عن سياسة توسعية الغرض منها مد النفوذ وتنفيذ مشاريع وحدوية فاستغلت بذلك سواحل المغرب الأوسط لتحقيق هذه المشاريع وشكلت بذلك حلقة من حلقات المسار الوحدوي بين أقطار بلاد المغرب الإسلامي وأنشأت بهذا الشريط الساحلي قواعد ومراكز بحرية لإرساء السفن والإقلاع منها واتخذت دورا لصناعة سفنها التي ساهمت في تكوين وتطوير قطع الأسطول البحري في الغرب الإسلامي وبذلك أضحت نقطة من نقاط القوة التي حفل بها سجل تاريخ البحرية الإسلامية خلال العصر الوسيط.

الكلمات المفتاحية: المغرب الأوسط ؛ المراسي ؛ الواجهة البحرية ؛ السياسة التوسعية ؛ الأسطول.

Abstract:

The Central Maghreb extends along a Mediterranean coastal strip, and its geographical location has endowed it with significant

◆ المؤلف المرسل

geostrategic importance as a bridge and point of connection and passage between nations. The natural features of this coastline facilitated the establishment of numerous harbors and ports, enabling the maritime front of the Central Maghreb to play diverse roles in the history of the Islamic West during the medieval period. The coastal cities (thughūr) of the Central Maghreb emerged as key departure points for naval expeditions and the expansion of Islamic territorial control into the Mediterranean islands. With the succession of states in the Islamic Maghreb, the rulers of these entities pursued expansionist policies aimed at extending their influence and implementing unification projects. The coastal regions of the Central Maghreb were strategically utilized to achieve these aims, forming a crucial link in the broader trajectory of unity among the regions of the Islamic Maghreb. Along this coastal strip, maritime bases and naval centers were established for docking and launching ships, alongside facilities for shipbuilding. These developments contributed significantly to the formation and advancement of the naval fleet in the Islamic West. Consequently, the region became a focal point of strength within the broader narrative of Islamic maritime history during the medieval era.

Keywords: Central Maghreb; harbors; maritime front; expansionist policy; fleet.

مقدمة:

حظيت مراسي وموانئ المغرب الأوسط بالكثير من الملاحظات لدى الرحالة الجغرافيين التي أوضحت التباين الوظيفي لهذه الموانئ من ميناء تجاري إلى منشأة عسكرية.

كما اكتسبت هذه الواجهة البحرية أهمية بالغة انطلاقاً من الموقع الجغرافي للمغرب الأوسط وارتباطه بأقطار المغرب وإشرافه على الساحل المتوسطي فهو يعتبر همزة وصل شكلت مراسيه نقاط ربط وعبور بين الدول.

وبحكم هذه الميزة التي تشرفت بها الواجهة البحرية للمغرب الأوسط جعلت منها محل تنافس وموطن إغراء أو خوف في نفس الوقت من مختلف الدول والقبائل للتحكم في هذه الواجهة واستغلالها بما يخدم مصالحها من أجل التطور والازدهار.

هذا وقد ارتكزت السياسة الخارجية للدول القائمة ببلاد المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط على مبدأ بسط النفوذ وتحقيق سياسة توسعية هدفها تشكيل امبراطورية إسلامية موحدة.

في سبيل تنفيذ هذه السياسة التوسعية أدرك قادة هذه الدول مدى جاهزية مراسي وموانئ المغرب الأوسط لتحقيق هذا الهدف.

هنا نطرح إشكالية مفادها إلى أي مدى ساهمت سواحل المغرب الأوسط في اكتمال وتحقيق السياسة التوسعية التي انتهجتها دول المغرب الإسلامي ؟

1- ساحل المغرب الأوسط وأهم مراسيه:

يتمد الشريط الساحلي للمغرب الأوسط من مرسى الخرز شرقاً¹ إلى مرسى ماسين الكرة من سواحل تلمسان غرباً²، فهو يشرف بذلك على العديد من المراسي والموانئ وكذا الرباطات والحصون ومدن ساحلية والتي نالت حظاً أوفر من الوصف لدى الرحالة والجغرافيين، وذكر ما تتميز به هذه المنطقة كوصف ابن حوقل (ت 367 هـ) لها وذكر أبعاد هذه المدن عند المقدسي (ت 380 هـ) أما البكري (ت 487 هـ) فكتابه يضم مزايا متعددة فذكر مراسي لم يرد ذكرها في المصادر التي جاءت بعده، والإدريسي (ق 6 هـ) فقد احتوى مؤلفه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق على مادة غزيرة في ذكره لمراسي استحدثت وأخرى تطورت وأصبحت تتمتع بمقامات المدن الكبيرة والمهمة كجاية³.

ساعد الامتداد الجغرافي لساحل المغرب الأوسط بمسافة تصل إلى 1200 كلم تقريبا على احتوائه على عدة رؤوس وخلجان وجزر، كما قدمت هذه الواجهة البحرية بما توفر عليه من ثروة غابية كل أنواع الخشب التي استعملت لصناعة المراكب والسفن واحتواء جبالها على مختلف المعادن اللازمة للصناعة الحربية والبحرية.

وإن إمتلاك هذه المميزات قد أهلت الواجهة البحرية للمغرب الأوسط أن تتعدد أدوارها بين الأهمية الاقتصادية والأدوار السياسية والعسكرية، فلطالما استغلت لتحقيق أغراض انتابت حكام دول وقادة سياسيين لبسط النفوذ وتطبيق سياسة توسعية في سبيل إنشاء وإقامة إمبراطورية واسعة وموحدة.

وسنقف في هذه الصفحات عند أبرز المحطات التاريخية التي ساهمت فيها سواحل المغرب الأوسط في اكتمال وإنجاح مثل هذه المشاريع، وقبل أن نتحدث عن ذلك سنذكر أهم مراسي المغرب الأوسط الممتدة على طول هذا الشريط الساحلي والتي تنوعت

1 أبو عبد الله البكري، المسالك والممالك الجزء الخاص ببلاد المغرب، تح: زينب الهكاري، تق: أحمد عزاي، مطبعة الرباط نت، المغرب، 2012، ص 185.

2 أبو عبد الله محمد بن إدريس الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2010، ص 240.

3 رفيق خليفي، الأندلسيون وتنشيط حركة الواجهة البحرية للمغرب الأوسط الموانئ الجزائرية عبر العصور سلها وحربا، أعمال الملتقى الدولي الجزائر، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، ديسمبر 2009، ص 136-137.

وتطورت حسب وظيفتها العسكرية كرباطات بحرية ومحارس إلى دور صناعة حربية ثم امتلاك ترسانات حربية خاصة والتي تمكنت بامتلاكها للوالم البحرية الحربية أن تشترك في تحقيق الهدف.

1.1- مرسى الخرز:

وهو أول مراسي المغرب الأوسط من ناحية الشرق ، يقع على الطريق بين القيروان وبونة وعلى شرقه يقع مرسى طبرقة⁴ وهو يتميز بأهمية كبيرة في كامل الحوض الغربي للبحر المتوسط لغناه بمعدن المرجان⁵، كما لعب هذا المرسى دورا في صناعة السفن والمراكب الحربية واتخذ قاعدة لغزوات بني حماد البحرية⁶.

2.1- مرسى بونة:

عرفت بونة قديما بهيبون وهي تشرف على ساحل ، بينها وبين بونة الحديثة ثلاثة أميال وهي تقع بين مرسى الخرز وجزائر بني مزغنة⁷، كما عرف مرساها عند صاحب الاستبصار بالزقاق أو الأزقاق⁸

اهتم ابن حوقل بذكر حجمها ومواردها الاقتصادية فيقول: "مدينة مقتدرة ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة ومقدارها في رقعتها كالأريس وهي على نحر البحر"⁹، وبها سور قريب بالبحر حسب وصف صاحب الاستبصار "والبحر يضرب في سورها"¹⁰، فاستعملها الأغالبية ضمن سلسلة المحارس والرباطات على الساحل الإفريقي كما اهتم الفاطميون بتحسين البلاد وتأمينها وهذا لما احتوت عليه جبالها من توفر لمعدن الحديد "وبها معادن الحديد كثيرة ويحمل منه إلى الأقطار الغزير والكثير"¹¹ كما تميز مرصاها بالحصانة والمنعة¹².

3.1- مرسى بجاية:

4 الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص ص (291-299)

5 أبو القاسم ابن حوقل النصيبي ، صورة الأرض ، ط 2 ، مطبعة بريل ، لندن ، 1938 ، ص 75.

6 مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، تع: عبد الحميد سعد زغلول ، دار النشر المغربية ، الرباط ، 1985 ، ص 127.

7 شهاب الدين ياقوت الحوي ، معجم البلدان ، ط 1 ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1906م ، ج 2 ،

ص 309.

8 مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، المصدر السابق ، ص 127.

9 ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 75.

10 مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص 127.

11 ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 76.

12 البكري ، المصدر السابق ، ص 185.

كان هذا المرسى يعرف قديما بصلداي وكان يتردد عليه البحارة في العهد الفينيقي ، ولم يرد لها شأن بذكر عند كل من ابن حوقل والبكري سوى أنه مرسى يلي مرسى جيجل فيذكره البكري بـ " ومرسى بجاية هو ساحل قلعة أبي الطويل وعلى هذا المرسى في تلك الجبال قبائل كتامة"¹³ لتعرف المدينة بعد القرن الخامس الهجري إزدهارا كبيرا فأصبحت تلقب بعين بلاد بني حماد وقاعدته حسب وصف الإدريسي لها: "ومدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة الغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد والسفن إليها مقلعة وبها القوافل منحة والامتعة إليها برا وبحرا مجلوبة والبضائع بها نافقة وأهلها مياسير وبها من الصناعات والصناعات ما ليس بكثير من البلاد"¹⁴ ، فبالإضافة إلى دورها التجاري فقد كانت أيضا مركز صناعة السفن لتوفر المادة الأولية من أخشاب ومعادن والزفت والقطران المتوفر في جبالها وأوديتها¹⁵.

4.1- مرسى الدجاج:

مدينة ساحلية بالمغرب الأوسط تقع بين مرسى بجاية وجزائر بني مزغنة ويسجل كل من ابن حوقل والبكري ملاحظاتهم حول حصانة هذا المرسى من خلال السور الضارب بالمدينة: "قد أحاط بها البحر من ثلاث نواح وقد ضرب بسور"¹⁶ كما أكد على عدم صلاحية مرفئها "وليس لها مرسى مأمون"¹⁷ ، وقد توفرت هذه البلاد على ثروة غابية لكثرة الأشجار بها التي كانت تحمل أخشابها إلى أقطار مختلفة¹⁸.

5.1- مرسى جزائر بني مزغنة:

مدينة جزائر بني مزغنة قديمة تشرف بساحلها على البحر المتوسط وهي ثالث المدن الصنهاجية التي أعيد بناؤها بتكليف من قبل زيري بن مناد لابنه بلكين¹⁹ اكتسبت المدينة أهمية من خلال العلاقات التي ربطت مرساها بإفريقية شرقا وبلاد الأندلس غربا فقد كان هذا المرسى مأمون²⁰ خاصة بعد القرن الخامس الهجري بعدما أصبح فرضة

13 نفسه ، ص 184.

14 الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 260.

15 الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 260.

16 البكري ، المصدر السابق ، 158.

17 ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 76.

18 نفسه ، ص 76.

19 الطاهر طویل ، المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط "من النصف الثاني للقرن الثاني الهجري الأول إلى القرن الخامس ، ط 1 ، المتصدر للشرقية الثقافية والعلمية والإعلامية ، الجزائر ،

2011 ، ص 277.

20 البكري ، المصدر السابق ، ص 159.

مشهورة من عمل بجاية²¹ وغدت نقطة اتصال بين المسالك البحرية في أعالي البحار وبين المسالك البحرية الساحلية²².

6.1- مرسى وهران:

تقد مدينة وهران على ساحل البحر المتوسط ويعتبر مرساها الواجهة البحرية لتيهت ، وتشير المصادر الجغرافية إلى ارتباط المدينة ببلاد الأندلس²³ فهي "مدينة محصنة عليها سور تراب متقن"²⁴ بينما مرساها فإن صاحب الاستبصار يصفه نقلا عن البكري بـ: "ولو وهران مرسى كبير ، مشى للسفن ، يكن من الرياح لأنه في حوز جبل مطل على وهران مرتفع"²⁵ وهو على بعد ميلين من المرسى الكبير الذي ترسو المراكب الكبار والسفن السفرية²⁶.

7.1- مرسى هنين:

وهو أشهر المراسي في الناحية الغربية لشدة تحصينه وقد نوه إلى ذلك البكري بقوله: "وهو على مرسى جيد مقصود وهو أكثر الحصون المتقدمة"²⁷. ثم صارت أكثر مناعة بعد بناء المدينة وتطورها "عليها سور متقن"²⁸. وقد ضم ساحل المغرب الأوسط مراسي ثانوية تخللت هذه المراسي الرئيسية المذكورة وشكلت في مجموعها سلسلة مراسي رسمت طبوغرافية هذا الساحل كمرسى ابن الأبيري وتكوش ومرسى أستوره والقل وجيجل بين مرسى بونة وبجاية وهناك مرسى شرشال وتنس ومغيلة ومستغانم وأرزاو بين مرسى جزائر بني مزغنة ومرسى وهران إضافة إلى مراسي ساحل تلمسان (ماسين)²⁹.

21 عماد الدين اسماعيل ، إلى الفداء ، تقويم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ص 137.

22 الهادي روجي إدريس ، الدولة الصنهاجية — تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12 هجري ، نقله إلى العربية حمادي الساحلي ، ج 2 ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1992 ، ص 293.

23 البكري ، المصدر السابق ، ص 164.

24 الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 252.

25 مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص 134.

26 الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 252.

27 البكري ، المصدر السابق ، ص 176.

28 الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 534.

29 رفيق خليفي ، المرجع السابق ، ص 136.

2-رباطات ساحل المغرب الأوسط ودورها في فتح جزر حوض البحر المتوسط:

لقد كانت سواحل المغرب الإسلامي من طنجة غربا إلى خليج برقة شرقا عامرة بالموانئ البحرية التي ساهمت في بناء رباطات إسلامية من خلال توفير المواد والسلع ، كما كانت بمثابة نقطة انطلاق الجيوش والفرق العسكرية في حملات الغزو والفتح وقد اقترنت نشأة الرباطات في المغرب الإسلامي بالفتوحات الإسلامية لأن أرض المغرب الإسلامي كانت أرض جهاد ، وكان ساحله معرضا للغارات البحرية المفاجئة التي يوجهها البيزنطيون من قواعدهم في صقلية وسردانية وجنوبي إيطاليا على السواحل الإفريقية ، لذا اعتبره المسلمون ثغرا يعد الرباط فيه جهاداً في سبيل الله وتقربا إليه³⁰. وقد ساعدت طبيعة البلاد المغربية الجغرافية الممتدة على طول سواحل البحر المتوسط على إقامة موانئ ومراسي عديدة للسفن ناهيك عن دور الصناعة التي اهتم المسلمون بإقامتها على طول هذا الشريط الساحلي. وأصبحت بذلك بلاد المغرب الإسلامي نقطة من نقاط القوة التي حفل بها سجل البحرية الإسلامية.

هذا وقد شكلت القواعد البحرية للمغرب الأوسط سلسلة ضمن شبكة المراكز البحرية التي اعتمدتها البحرية الإسلامية خلال الفترة الأولى من تأسيس الأسطول الإسلامي في فترة الأغالية وذلك لما توفرت عليه من مواد ضرورية لصناعة السفن كمعدن الحديد الذي يستخرج من جبال بونة فيذكره الإدريسي عند وصفه لمدينة بونة بقوله: "وعلى مدينة بونة وبجانبها جبل يدوغ وهو عال الذروة سامي القوة وبه معادن الحديد"³¹، ويستعمل هذا المعدن لعمل المسامير والخطاطيف والكلاليب والفؤوس والدبابيس وغير ذلك من الأسلحة. كما توفر هذا المعدن في بلاد كتامة³²، ويؤكد البكري أن هذا المعدن كان يتم امداده إلى إفريقية بقوله: "وعلى هذه المواضع كلها من جبال كتامة معادن النحاس ومنها يحمل إلى إفريقية"³³.

كما شكلت رباطات المغرب الأوسط منطقة عبور وربط بين محارس المغرب الأقصى ورباطات المغرب الأدنى وكانت ضمن سلسلة التحصينات والأربطة الممتدة من رباط النكور وسلا بالمغرب الأقصى والممتدة إلى ثغور إفريقية كثر طبرقة وتونس ومرسى سوسة ومحرس المنستير وغير ذلك من حصون طرابلس وبرقة وأربطة المغرب الأوسط

30 السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي ، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1969 ، ص 41.

31 الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 291.

32 نفسه ، ج 1 ، ص 270.

33 البكري ، المصدر السابق ، ص 269.

تمثلت في: رباط ندرومة يصفه البكري: "حصنان ورباط حسن مقصود يتبرك به"³⁴ ورباط أزراو: المدينة بها قلاع و"رباط يقصد إليه"³⁵، إضافة إلى رباط مغيلة وشرشال³⁶ وكان الرباط يزود عادة بمنار توقد فيه النار ليلا للندير باقتراب سفن العدو وعن طريق هذه الإشارة تستعد هذه الحاميات المرباطة وتتأهب لملاقاة العدو برا وبحرا³⁷. واستغلت هذه الرباطات في البداية أي بعد الفتح الإسلامي في المهام الدفاعية وضمان سلامة الساحل والحماية من الضربات البحرية. ثم تحولت بعد ذلك واستخدمت كمنطلقات للعمليات التي شهدتها مناطق الحوض الغربي والأوسط للبحر الأبيض المتوسط فاستخدم رباط بونة كقاعدة لانطلاق هذه الغزوات وفي وصف ابن حوقل لرباط بونة يقول: "ومدينة بونة، مدينة مقتدرة... على نحر البحر ولها عامل عليها قائم بنفسه ومعه من البربر عسكر لا يزالون كالرابطه"³⁸ ثم يؤكد البكري ذلك بقوله ذلك: "ومرسى بونة تخرج منه الشواني غازية إلى بلاد الروم وجزيرة سردانية وكرسقة وما ولاها"³⁹. وإن الفتوحات الإسلامية التي حققها المسلمون في الحوضين الأوسط والغربي للبحر الأبيض المتوسط على يد الأغالبة والفاطميين بفتحهم لجزيرة صقلية وسردانية، تعد من أبرز الأحداث في تاريخ البحرية الإسلامية وتحولا خطيرا في السيادة على هذا القسم من البحر فعن طريقها عرف الأغالبة كيف يسودون البحرين التيراني والأدرياتي، أما بالنسبة للمغرب الأوسط فقد أدى هذا التفوق البحري إلى نشأة مدن جديدة كجاية وبونة ووهران، كما تطور نظام المراسي في كل من مرسى الدجاج والخرز وتنس⁴⁰. ثم إن فتح هذه الجزر واكتساب هيبة بحرية إسلامية جعل قادة دول المغرب الإسلامي أن ينتهبوا إلى الدور البحري في سواحل المغرب الأوسط لتحقيق مشاريع توسعية. ظلت هذه المراسي لسواحل المغرب الأوسط تساهم وتدعم السياسة التوسعية بالتموين والتجهيز والتسليح والإقلاع للغزو مع كل كيان سياسي يقوم ببلاد المغرب الإسلامي، فمع قيام الدولة الفاطمية التي انتهجت هذه السياسة مع بداية تأسيسها ووجهت عناية خاصة بالأسطول وسخرت له كل الإمكانيات اللازمة من أجل فرض هيمنتها البحرية بهدف تنفيذ

34 نفسه، ص 263.

35 نفسه، ص 263.

36 الطاهر طويل، المرجع السابق، ص 314.

37 السيد عبد العزيز سالم والعباري، المرجع السابق، ص 41.

38 ابن حوقل، مصدر سابق، ص 75.

39 البكري، المصدر السابق، ص 185.

40 السيد عبد العزيز سالم والعباري، المرجع السابق، ص 54.

توسعاتهم سواء في الأندلس وفي المشرق⁴¹ فأنشأت ممرسى الخرز دارا لصناعة المراكب الحربية التي يغزى منها إلى بلاد الروم⁴²، وظلت تستغل مرسى بونة كأحد القواعد والمراكز لإقلاع السفن الغازية ومرسى القالة وبجاية وما توفره هذه المراسي من مواد لازمة لبناء السفن.

3- التوسعات الشرقية للحماديين على حساب السواحل الإفريقية:

إن ما وصلت إليه البحرية الإسلامية على يد الفاطميين من تفوق يهدف إلى إنشاء إمبراطورية واسعة في حوض البحر المتوسط ، وهذا ما جعل ورثتهم من بني زيري يعملون على نفس الهدف لتشكيل السيادة الإسلامية على البحر. ومع مطلع القرن الخامس الهجري وقيام الدولة الحمادية في المغرب الأوسط ، ستعرف هذه الأخيرة نشاطا بحريا خاصا بها وأصبحت تشكل قوة بحرية كان لها الدور البارز من خلال مواصلتها لعمليات الغزو التي قام بها أسطولهم.

إن البروز الحقيقي للبحرية الحمادية كان على عهد الناصر بن علناس (454-481هـ / 1062-1089م) الذي قام بإنشاء أهم قاعدة بحرية في المغرب الأوسط واتخاذها عاصمة له وهي بجاية واكتسبت أهمية كأهمية المهدية بالنسبة لإفريقية. والانفتاح الذي عرفته هذه الدولة على البحر كان لما وهبه الله تعالى لهذا الساحل المنعرج مما ساهم في إنشاء موانئ محمية تضاريسيا تسمح بإنشاء مصانعها وإرساء أسطولها وغير ذلك على ما توفرت أراضيها من تأمين مادي وفني للأسطول وإمداده بكل ما يحتاج إليه من مواد غذائية وأسلحة وذخائر ومواد لازمة للصناعة الحربية كالخشب والزفت والقطران وأهم قواعد الأسطول الحمادي منشأة بجاية وقاعدة المغرب الأوسط عامة كما وصفها الإدريسي: "وبها دار صناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن والحراي"⁴³، كما استعان الحماديون في تطوير أسطولهم بدور الصناعة الأخرى المتواجدة على طول هذا الساحل خاصة بعد امتلاكها لمرسى الخرز ومرسى في عهد المنصور بن الناصر بن علناس (481-498هـ / 1089-1105م) وهذان المرسيان كانا لهما نشاطا بحري هام. وامتد بذلك شريطها الساحلي من مرسى الخرز شرقا إلى مرسى تنس غربا⁴⁴.

41 السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي ، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981 ، ص 70.

42 البكري ، المصدر السابق ، ص 143.

43 الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 260.

44 موسى هيصام ، الجيش في العهد الحمدي ، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط ، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة الجزائر ، 2000-2001 ، ص 36.

إن الدولة الحمادية بإعتمادها على الذات في بناء قوتها وفرض هيبتها البحرية وامتلاكها للمادة الأولية وحركة تصنيع مختلف قطع الأسطول دفعها إلى توسيع نشاطها العسكري ومد حدود دولتهم لاسيما من الناحية الشرقية.

فبحكم الجوار قد توترت العلاقة بين الزييين والحماديين وغلب عليها طابع الصراع الدائر وترصد كل طرف للفرص لمد النفوذ إلا أن الغالبية كانت للحماديين⁴⁵ وهذا لتنامي قوتها البحرية المستندة على الدور الثلاثة لصناعة مختلف قطع الأسطول بجاية وبونة ومرسى الخرز.

ثم إن الجانب الحمادي قد اتبع السياسة الإقليمية المحدودة أمام التحديات الخارجية قد ساعد ذلك على تردي الأوضاع التي آلت إليها إفريقية بعد الحملة الهلالية والهجمات النورماندية ، فاستغل بذلك بنو حماد لشن حملات على أبناء عموماتهم.⁴⁶ وأولى هذه الحملات ، حملة العزيز بن المنصور على جربة سنة 510 هـ والتي انتهت بإذعان أهلها لطاعة العزيز بن المنصور ، ثم تلتها حملات أخرى وكانت موجهة على المهدية عاصمة بني زيي ، وجاءت استجابة لنجدات أهلها بعد الموقف السلبي لأبيهم الحسن بن علي أمام هجمات النورمان في محاولة من الحماديين صد المسيحيين من جهة وإسقاط عاصمتهم ومد نفوذ دولتهم من جهة أخرى ، وخرجت هذه الحملة سنة 510 هـ تحت قيادة مطرف بن علي بن حمدون ولكنه لم يتمكن من دخولها بعد محاصرتها وعاد إلى بجاية.

ثم جاء الحصار الثاني على هذه المدينة سنة 530 هـ/1135 م⁴⁷ وهذه إثر تحالف الحسن بن علي وروجر فتحرك الأسطول الحمادي مدعما بقوات برية ، وفرض على المدينة حصارا محكما دام حوالي سبعة عشر يوما⁴⁸ إلى أن وصلت مساعدة ونجدة نورماندية وكسرت هذا الحصار وعاد مطرفا خائبا.

4- مساهمة مراسي المغرب الأوسط في تحقيق السياسة التوسعية لعبد المؤمن بن علي:

أدرك الموحدون وفي وقت مبكر أهمية السواحل في الإستراتيجية العسكرية. فبعد ما كسبوا معركة الجبل توجهوا بأنظارهم نحو ثغور المغرب الأقصى من جهة الشرق على البحر

45 عبد الحليم عويس ، دولة بني حماد ، ط2 ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1991 ، ص 112.

46 نفسه ، ص 171.

47 عبد الرحمان ابن خلدون ، تاريخ الأمازيغ والهجرة الهلالية (مقتطف من كتاب العبر) ، تعليق: ولد سالم ، ج1 ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2012 ، ص 138.

48 نفسه ، ص 121.

المتوسط ، ففتحوا مليلة وقلعة بادس⁴⁹ ، ثم توغلوا شرقا نحو ساحل المغرب الأوسط ووصلوا تاجرا على البحر وبعدها تمكنوا من مدينة وهران في معركة حاسمة ضد المرابطين سنة (539هـ/1144م)⁵⁰.

ونظرا لأهمية هذه المدينة ومنائها من حيث الموقع والاستراتيجية فقد حولها عبد المؤمن بن علي ومنائ المرصى الكبير إلى قاعدتين بحريتين للأسطول البحري وأحدث بهما ورشتين لإصلاح السفن المعطوبة وبناء المراكب الجديدة وفعل نفس الشيء بموانئ أرزاو وهنين.⁵¹

إن في قيام هذه الدولة هدفا لتحقيق وحدة شاملة للمغرب الإسلامي شاملة انطلاقا من الدعوة الدينية التي قامت عليها -الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- وعلى هذا الهدف ومن أجل تحقيقه اتبع عبد المؤمن بن علي استراتيجية عسكرية رمى من خلالها إتمام هذا المشروع والتوجه نحو سواحل المغرب الأوسط والاستيلاء على قاعدته بجاية⁵² وذلك لعدة اعتبارات:

يأتي في مقدمتها استيلاء النورمان على سواحل المغرب الأدنى وأصبحوا قاب قوسين أو أدنى من مملكة بني حماد والخوف من فقدان ميناء بجاية البحري والذي يكتسي أهمية عظيمة في المجال التجاري وحتى في المجال العسكري.

الأهمية العسكرية لميناء بجاية تتمثل في وفرة المواد الأولية إذ حظيت هذه المدينة وجبالها وأوديتها على المواد اللازمة لصناعة مختلف المراكب الحربية كالخشب لصناعة السفن وامتلاكها لمعدن النحاس والحديد لتصنيع مختلف الأسلحة وجميع مقومات الصناعة البحرية .

كما حرص عبد المؤمن بن علي على دخول بجاية دون قتال وذلك للاحتفاظ بالإرث البحري الحمادي فاستطاعوا بذلك حيازة المراكب الحمادية الكبيرة سالمة⁵³ ودار صناعة

49 عبد الله علام ، الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ص 121-122.

50 ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب - قسم الموحدين ، تح: محمد إبراهيم الهنتاتي ، محمد زنيبر وآخرون ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1985 ، ص 22.

51 علي بن أبي زرع الفاسي ، الأئيس المطرب بروض قرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة ، الرباط ، 1972 ، ص 201.

52 توفيق مزاري ، النشاط البحري بالغرب الإسلامي في عهد المرابطين والموحدين ، ج 2 ، دار جسور للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ص 105.

53 ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص 46.

السفن ناهيك عن استغلال القوة البشرية إلا بلغ تعدادهم عشرون ألف مقاتل⁵⁴ واستخدمها في مواصلة مشروعها التوسعي.

إضافة إلى خبرة أهلها بمختلف الصنائع والتي يتطلبها لإنشاء المراكب البحرية وفي وصف الإدريسي لمهن أهل بجاية قوله: "وأهلها مياسير تجار، وبها من الصناعات والصنائع ما ليس بكثير من البلاد"⁵⁵

ومما زاد من أهمية ميناء بجاية بعد العهد الحمادي هو اهتمام الموحدين بها ببناء دار صناعة ثان فأصبح بها داران لصناعة السفن من خلال وصف صاحب الاستبصار لمدينة بجاية: "ولها داران لصناعة المراكب وإنشاء السفن ومنها تغزو بلاد الروم، فإنها ليس بينها وبين صقلية غير ثلاث مراحل"⁵⁶

ولم يتأخر عبد المؤمن بن علي على غزو بجاية، فأعد لها أسطولا أثناء إقامته في سبتة⁵⁷ وبعد ترتيبات وخطط استراتيجية محكمة لم يشعر أهل بجاية إلا وهو بأعمالها وذلك بعد اصطناع قائد جيشها ميمون بن حمدون الذي سهل لهم فتح أبواب بجاية فدخلوها وفر منها يحي بن العزيز في البحر إلى بونة وذلك في ذي القعدة 547هـ/1153م.⁵⁸

ثم انشغل عبد المؤمن بتوطيد أركان دولته عن مواصلة السير قدما نحو إفريقية وتحرير سواحلها لكنه أمر ابنه عبد الله الذي كان تركه واليا على بجاية بشن غارات على نواحي إفريقية والتضييق على تونس ويمنع عنها المرافق التي تصل إليها على طريقه تمهيدا لغزوها.⁵⁹

وما إن انتهى عبد المؤمن من تنظيم شؤون دولته الداخلية حتى أخذ يتأهب للجهاد وبعث بالكتب إلى كافة قبائل الموحدين وأهل البلاد البحرية يستنفرهم للجهاد وإنشاء الأساطيل والأجفان.⁶⁰

وبعد أخذ كل التدابير والوسائل لإنجاح الحملة أعد أسطولا من سبعين شينيا وطرية وشلندي مجهزة بمختلف الأسلحة وغزاة البحر وآلات الحصار⁶¹، وقد نجح عبد المؤمن بن

54 عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد زينهم، محمد عزب، دار الفرجاني، القاهرة، د س، ص 174.

55 الإدريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 260.

56 مؤلف مجهول، الاستبصار، ص 130.

57 ابن عذاري، المصدر السابق، ص 46.

58 توفيق مزاري، المرجع السابق، ص 108.

59 عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 192.

60 ابن عذاري، المصدر السابق، ص 62.

61 توفيق مزاري، المرجع السابق، ص 115.

علي في هذه الحملة من تحرير سواحل تونس وطرابلس والمهدية وكان ذلك سنة 555 هـ / 1160م وتمكن من طرد النصارى النورمان من جربة واسترجاعها إلى الحضيرة المغربية⁶².
5- دور مدينتي وهران وبجاية في الحملة التوسعية لأبي الحسن الحريفي على تونس:

اقترن النشاط العسكري لدولة بني مرين في تثبيت أركان دولتهم بانتهاج سياسة توسعية على حساب أراضي دولة بني زيان ، الغرض منها إقامة دولة تقوم على العصية الذاتية فتوالت الحملات المرينية على تلمسان عدة مرات إلى أن تمكنوا من الاستيلاء عليها وتحقيق حلمهم القديم بالقضاء على خصمهم التقليدي
هذا وقد كانت الواجهة البحرية للمملكة الزيانية الوجهة الأولى لأبي الحسن المريني لتحقيق هدفه والاستيلاء على تلمسان فاحتل مدينة وهنين سنة 732 هـ / 1332م وبعث بالإمدادات البحرية تحت قيادة الحسن البطوي لتخليص صهره الحفصي في بجاية من سيطرة بني زيان ، وتمكن هذا الأخير من هدم حصن تامزيردكت وأسرع بنو زيان إلى الخلف من حدودهم⁶³.

وإن احتلال أبي الحسن المريني لوهران وسواحله واختياره للطريق الساحلي ربما يهدف منها إلى قطع الطريق أمام إمدادات بني الأحمر حلفاء بني زيان.
وحتى عندما قرر أبو الحسن المريني العودة لغزو تلمسان سنة 735 هـ فقد توجه مباشرة إلى ندرومة وهنين وتاسالة⁶⁴ و وهران وهاجمها. ثم غادرها نحو تلمسان التي ظل محاصرا لها 30 شهرا ليتمكن من اجتياز أسوارها والاستيلاء عليها في رمضان 737 هـ / 1336م⁶⁵.
وبهذا الانتصار المريني على تلمسان تمكن أبو الحسن المريني من تحقيق حكم أسلافه وأصبح صاحب المغربين الأقصى والأوسط كمرحلة أولى أصبح أمام أبي الحسن التطلع إلى انتزاع الزعامة من يد الحفصيين خاصة بعد وفاة السلطان أبي يحيى أبو بكر الحفصي وظهور بوادر الضعف في تونس.

رغم العلاقات الودية التي ربطت بين الدولتين الحفصية والمرينية وحرص كل منهما على تمتينها برابطة المصاهرة خاصة من الجانب المريني الذي أراد استغلالها يوما ما في

62 نفسه ، ص 47.

63 ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 297.

64 عبد العزيز فلالي ، تلمسان في العهد الزياني ، ج 1 ، موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2002 ، ص 46.

65 عبد العزيز فلالي ، المرجع السابق ، ص 46.

تحقيق مطامحه السياسية. فبعد أن تملك تلمسان صارت فكرة امتلاك إفريقيا تستحوذ عليه وأخذ يستعد ويحضر لها أكثر من عشر سنوات ويهيئ لها الظروف المناسبة.⁶⁶ يبدو أن الفرصة قد سنحت باتصال خصوم السلطان الحفصي أبي بكر وتحريضهم لأبي الحسن المريني على مواصلة انتصاراته شرقا بضم السلطنة الحفصية، وبذلك يصبح الوارث الفعلي لسلطنة الموحدين التي كانت تضم أقطار المغرب الإسلامي. فوفد عليه ابن تافراجين حاجب السلطان الحفصي ووزيره الهارب قصد طلب التدخل في إفريقيا وامتلاكها⁶⁷، فاتخذ أبو الحسن المريني من مقدمه حجة لتحقيق مطامحه. قرر أبو الحسن المريني الإقدام على غزو تونس رغم معارضة الفكرة من قبل وزرائه وجلسائه، وشرع في الاستعداد لهذه الحملة (التوسعية) الواسعة المدى والبعيدة المسافة تحت ذريعة إعادة الأوضاع إلى نصابها بتونس.⁶⁸ وانطلق الجيش المريني في صفر 748هـ من تلمسان⁶⁹ وكانت خطة أبي الحسن المريني فتح المدن في طريقه إلى تونس ثم الاستيلاء على تونس. وأهم هذه المدن مدينتي وهران وبجاية.

1.5- فتح وهران:

بلغت مدينة وهران درجة من الأهمية الجيوستراتيجية خلال فترة الموحدين فاتسع عمرانها ونشطت بها الحركة الاقتصادية وكانت أهم القواعد البحرية للأسطول البحري في المغرب الأوسط وبقيت كذلك حتى قامت الدولة الزيانية بتلمسان سنة 633هـ. ففرضت سيطرتها عليها وعلى المرسى الكبير وكل المدن وقرى حوض شلف وإقليم التيطري ومنتجة ومدت نفوذها إلى مدينة دلس.

ثم عرفت تقلبات سياسية إثر الصراع القائم بين القوى السياسية آنذاك، فتارة تخضع لسيطرة الحفصيين وتارة تخضع للنفوذ المريني هذا الأخير الذي تواصلت سيطرته عليها بصورة منقطعة فبعد استيلاء أبي الحسن المريني على تلمسان 637هـ وتحضيرا لاستكمال مشروعه التوسعي إلى تونس. اقتحم أبو الحسن المريني مدينة وهران وفرض سيطرته عليها، وبها تم تجهيز الأسطول البحري الذي أثبتت المصادر قوته، فابن خلدون يصفه: "وقع لعهد السلطان أبي الحسن ملك زناتة بالمغرب فإن أساطيله كانت عند مرامه الجهاد

66 نفسه، ج 1، ص 47.

67 ابن خلدون، المصدر السابق، ج 2، ص 311.

68 نجلاء محمد عويص المطيري، حملة أبو الحسن المريني على إفريقيا ونتائجها، مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية، المجلد 01، العدد 63، ديسمبر 2021، ص 72.

69 أبو زكرياء يحيى ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة يسير فطنانة الشرقية، الجزائر، 1903، ص 144.

مثل عدة النصرانية وعديدهم⁷⁰ وأصبحت سواحل الإمارة التلمسانية تحت سيطرته ، فامتلك بذلك أقوى قوة بحرية في شمال إفريقيا آنذاك وأصبح سلطان المغرب الكبير . وبلغ المرينيون أقصى قوتهم البحرية في عهد أبي الحسن المريني⁷¹ والذي كان يتشكل من ستمائة سفينة في هذه الحملة التي جهزها⁷².

وقد اهتم أبو الحسن المريني بهذه المدن ، فعين عليها عامله عبوس بن سعيد ، وأولى عناية بضرورة تطوير نشاطها البحري وأصبح مرساها من أكبر مراسي بلاد المغرب يسع لمئات من المراكب والسفن الحربية⁷³. كما أمر بإعداد تحصينات عسكرية بها متمثلة في المحارس والأبراج ، فبنى فيها برج الأحمر وأمر بإنشاء برج المرسى أيضا فصارت بذلك مدينة أحد أهم المراكز البحرية للأسطول المريني في المغرب الأوسط⁷⁴ كما لم يدخر المرينيون جهدا في بناء محارس ومناظر من إفريقية إلى آسفي بحيث لو اشتعلت النار في واحدة يتصل خبر دخول العدو في ليلة واحدة أو أقل في مسافة تسير فيها القوافل نحو شهرين⁷⁵ وقد كان لساحل المغرب الأوسط حظا من هذه المناظر . وأثرى هذه التجهيزات والاستعدادات العسكرية لحملته الكبرى وعزم السلطان أبو الحسن المريني على إنفاذها إلى تونس أخذت الوفود تتوالى عليه من أعراف إفريقية وولاية قابس وجربة وأتوه بالبيعة وقضوا له حق الطاعة وهو بوهران.⁷⁶

2.5- فتح بجاية:

اتسمت علاقة بجاية بالسلطة الحفصية في أولها بالتبعية والولاء وتوالى عليها ولاية من البيت الحفصي أو من مشيخة الموحدون لكن سرعان ما بدأت هذه العلاقة تأخذ

70 عبد الرحمان ابن خلدون ، مقدمة ، تق: محمد الإسكندراني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 2006 ، ص 242.

71 ابراهيم حرقات ، المغرب عبر التاريخ ، ج 2 ، دار الرشاد الحديثة ، الرباط ، 2000 ، ص 117.

72 عبد الرحمان ابن محمد الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج 2 ، ط 2 ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1965 ، ص 75.

73 عبد الرحمان ابن خلدون ، العبر ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 301.

74 عبد الحق المريني ، الجيش المغربي عبر التاريخ ، ط 5 ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، 1997 ، ص 48.

75 محمد ابن مرزوق التلمساني ، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ، تح: ماريا خيسوس بيغيرا ، تق: محمود آغا بو عياد ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2011 ، ص 398.

76 ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 311.

منحى آخر في التآرجح بين التبعية والاستقلال والانفصال عنها حتى أضحت عاصمة ثانية للدولة الحفصية بعد انقسامها سنة 684 هـ.⁷⁷

وبذلك إكتسبت بجاية مكانة جيوسياسية في التاريخ الحفصي ، ففي حملة أبو الحسن المريني على تونس ، تقرر فتحها قبل دخول تونس عاصمة الحفصيين رفض والي مدينة بجاية الأمير عبد الله محمد بن الأمير أبي زكرياء الحفصي الانصياع لطاعة أبي الحسن المريني وتباينت الآراء في المجلس المريني بين ضرورة اقتحام هذه المدينة أو مواصلة فتح تونس. إلا أنه تقرر ضرورة اقتحامها⁷⁸ فأرسل جيشا كثيفا ، وتحرج موقف الأمير الحفصي وقدم بيعته دخل أبو الحسن المريني بجاية ورفع عنها المغارم ونظم ثغورها وسد فروجها.⁷⁹ إن تحقيق مثل هذا الانتصار يعتبر من أهم الانتصارات بالنسبة للمرينيين ، فقد أرسل ابن الأحمر سلطان غرناطة رسالة إلى أبي الحسن يهنؤه فيها قائلا: "قد اتصل بنا ما كان من دخول حضرة بجاية حرسها الله في طاعتكم" ثم يواصل القول: "بجاية وما بجاية إلا دار الملك الأصيل العتيق وكرسي العز الوثيق ، أماطكم السعد صهوتها وأحلكم التوفيق ربوتها" كما بعث أبو الحسن المريني نفسه إلى سلطان مصر الناصر حسن يخبره فيها بفتح بجاية والانتصار على تلمسان.⁸⁰

أما مدينة تونس فقد تم محاصرتها برا وبحرا ثم الاستيلاء عليها ودخولها في موكب عظيم في جمادى الآخر 748 هـ أين تلقاه وفد تونس ضم شيوخ الشورى وأرباب الفتيا وأعلنوا طاعتهم لأبي الحسن المريني وقد كان ابن خلدون شاهدا لهذا الحدث فوصفه بـ "وكان يوما لم ير مثله فيما عقلناه".⁸¹

وتعد هذه التجربة الوحيدة التي قادها أبو الحسن المريني ليست كمثيلتها ممن سبقوه كتجربة الموحدين إذ لم تكن مجرد حملة عسكرية وإن ما ميزها مشاركة العلماء المالكية بالمغربين الأوسط والأقصى (حملة دينية) ، كما حرص أبو الحسن المريني على زيارة أضرحة الأولياء في مختلف الحواضر التونسية كسباً لود الناس وعطفهم واحترامهم. وأمام هذا الانتصار الذي لم يدم طويلا فقد فشلت هذه الوحدة إمام قوة وطموح القبائل الهلالية التي عمد المرينيون على أضعاف نقوذها وتقليص امتيازاتها الاقتصادية .

77 نفسه ، ج 1 ، ص 333.

78 نجلاء المطيري ، المرجع السابق ، ص 74.

79 محمد العروسي المطوي ، السلطة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1986 ، ص 381.

80 صالح البعيزي ، بجاية في العهد الحفصي دراسة اقتصادية واجتماعية ، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، تونس ، 2006 ، ص 77.

81 ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 313.

والتقى أبو الحسن بالأعراب في معركة قرب القيروان انهزم فيها شر هزيمة في محرم 749هـ فغادر تونس سنة 750هـ⁸² ورجعت إلى النفوذ الحفصي.

الخاتمة:

برز دور سواحل المغرب الأوسط من خلال الأهمية الجيوستراتيجية التي تمتعت بها المنطقة فقد تشكلت المراسي والموانئ الواقعة على الشريط الساحلي نقاط ارتكاز أساسية للأنشطة البحرية سواء في المجال التجاري أو العسكري. وقد أسهمت هذه المراسي في تعزيز القوة البحرية لدول المغرب الإسلامي المتعاقبة.

اقترن ظهور الرباطات والثغور بالفتوحات الإسلامية وقامت بأدوار دفاعية لحماية الدولة الإسلامية فكانت ثغور ورباطات المغرب الأوسط بمثابة همزة وصل بين الشرق والغرب كرباط ندرومة وأرزاو ورباط مغيلة وشرشال وغيرها من الرباطات البحرية، كما ربطت أقطار المغرب الإسلامي ببعضها البعض وشكلت بذلك سلسلة محارس امتد من رباط نكور وسلا بالمغرب الأقصى إلى ثغور إفريقية، كما اعتبرت نقطة انطلاق للغزوات البحرية.

وقد عرفت مراسي المغرب الأوسط تطورا في نشاطها البحري خلال عهد الأغالبة والدولة الفاطمية. بعد أن فرضت هذه الأخيرة السيادة البحرية الإسلامية في الحوضين الأوسط والغربي للبحر المتوسط واتخذت من المغرب الأوسط بواجهته البحرية مركزا ودورا لصناعة السفن فبرز مرسى الخرز ومرسى بونة وبجاية.

إن الانفتاح على الواجهة البحرية المتوسطية الذي عرفته الدولة الحمادية على عهد الناصر وامتلاكها لترسانة بحرية كبيرة (بجاية، بونة، مرسى الخرز) أهلها لفتح أفاق توسعية على حساب الأراضي الزيرية فتكررت حملاتهم على المدينة.

وقد استغلت دول المغرب الإسلامي مراسي المغرب الأوسط لتحقيق أهداف توسعية فاتخذت كمراكز بحرية أمدت للصناعة الحربية البحرية بالمواد اللازمة (ثروة غابية ومعادن) ودعمت الجهود العسكرية التي سعت إلى تحقيق وحدة إسلامية مغربية. أدرك عبد المؤمن بن علي الأهمية العسكرية للواجهة البحرية في المغرب الأوسط فوجه حملاته للإستيلاء على مدينة وهران وحرص على امتلاك مقومات البحرية لبجاية واتخاذها كدور صناعة.

استطاع المرينيون على عهد أبي الحسن المريني من دخول تونس سنة 748هـ وتوحيد بلاد المغرب الإسلامي، وهذا على إثر الانتصارات التي حققها المرينيون على بني زيان وانتزاع الزعامة الزناتية منهم وامتلاكهم لأهم المراكز الجيوستراتيجية في المغرب الأوسط كمدينتي وهران وبجاية وأولوا عناية بضرورة تطوير نشاطها البحري.

82 نفسه، ج 2، ص 314.

قائمة المراجع:

1. إدريس الهادي روجي ، الدولة الصنهاجية — تاريخ إفريقيا في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12 هجري ، نقله إلى العربية حمادي الساحلي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ج 2 ، ط 1 ، 1992.
2. الإدريسي أبو عبد الله محمد بن إدريس ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية ، ط 1 ، 2010.
3. البعيزيق صالح ، بجاية في العهد الحفصي دراسة اقتصادية واجتماعية ، تونس: منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، 2006.
4. البكري أبو عبد الله ، المسالك والممالك الجزء الخاص ببلاد المغرب ، تح: زينب الهكاري ، تق: أحمد عزاوي ، المغرب: مطبعة الرباط نت ، 2012.
5. الجيلالي عبد الرحمان ابن محمد ، تاريخ الجزائر العام ، بيروت: دار مكتبة الحياة ، ج 2 ، ط 2 ، 1965.
6. حركات ابراهيم ، المغرب عبر التاريخ ، الرباط: دار الرشاد الحديثة ، ج 2 ، 2000.
7. ابن حوقل أبو القاسم النصيبي ، صورة الأرض ، لندن: مطبعة بريل ، ط 2 ، 1938.
8. ابن خلدون أبو زكرياء يحيى ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، الجزائر: مطبعة يسير فطنانة الشرقية ، 1903.
9. ابن خلدون عبد الرحمان ، تاريخ الأمازيغ والهجرة الهلالية (مقتطف من كتاب العبر) ، تعليق: ولد سالم ، بيروت: دار الكتب العلمية ، ج 1 ، ط 1 ، 2012.
10. ابن خلدون عبد الرحمان ، مقدمة ، تق: محمد الإسكندراني ، بيروت: دار الكتاب العربي ، 2006.
11. خليفي رفيق ، الأندلسيون وتنشيط حركة الواجهة البحرية للمغرب الأوسط الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا ، الجزائر: أعمال الملتقى الدولي ، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط ، ديسمبر 2009.
12. ابن أبي زرع علي الفاسي ، الأنيس المطرب بروض قرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، الرباط: دار المنصور للطباعة ، 1972.
13. طویل الطاهر ، المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط "من النصف الثاني للقرن الثاني الهجري الأول إلى القرن الخامس ، الجزائر: المتصدر للشرقية الثقافية والعلمية والإعلامية ، ط 1 ، 2011.
14. عبد العزيز السيد سالم وأحمد مختار العبادي ، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ، بيروت: دار النهضة العربية ، 1969.
15. عبد العزيز السيد سالم وأحمد مختار العبادي ، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ، بيروت: دار النهضة العربية ، 1981.
16. العروسي المطوي محمد ، السلطة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي ، بيروت: دار الغرب الإسلامي ، 1986.
17. علام عبد الله ، الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي ، القاهرة: دار المعارف.
18. عويس عبد الحليم ، دولة بني حماد ، القاهرة: دار الصحوة للنشر والتوزيع ، ط 2 ، 1991.
19. أبو الفداء عماد الدين اسماعيل ، تقويم البلدان ، بيروت: دار صادر.

20. فيلالي عبد العزيز ، تلمسان في العهد الزياني ، الجزائر: موفم للنشر والتوزيع ، ج1 ، 2002.
21. المراكشي ابن عذارى البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب — قسم الموحدين ، تح: محمد إبراهيم الهنتاتي ، محمد زنيبر وآخرون ، بيروت: دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، 1985.
22. المراكشي عبد الواحد ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تح: محمد زينهم ، محمد عزب ، القاهرة: دار الفرجاني ، د.س.
23. ابن مرزوق الخطيب محمد التلمساني ، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ، تح: ماريا خيسوس بيغيرا ، تق: محمود آغا بو عياد ، الجزائر: موفم للنشر ، 2011.
24. المريني عبد الحق ، الجيش المغربي عبر التاريخ ، الرباط: مطبعة المعارف الجديدة ، ط5 ، 1997.
25. مزارى توفيق ، النشاط البحري بالغرب الإسلامي في عهد المرابطين والموحدين ، الجزائر: دار جسر للنشر والتوزيع ، ج2.
26. المطيري نجلاء محمد عويض ، حملة أبو الحسن المريني على إفريقية ونتائجها ، الرياض: مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية ، المجلد 01 ، العدد 63 ، ديسمبر 2021 ، ص (59-107)
27. مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، تع: عبد الحميد سعد زغلول ، الرباط: دار النشر المغربية ، 1985.
28. هيصام موسى ، الجيش في العهد الحمدي ، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط ، جامعة الجزائر: كلية العلوم الإنسانية ، 2000-2001.